الأهرام

المصدر: السياسة الرياض
التاريخ: ٩ ذو القعدة ١٤٠١هـ

ايكونوميست

المسلمون السوفيات

● يتجمعون للصلاة خلال احدى المناسبات الدينية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ان اتساع رقعة الاتحاد السوفياتى وامتداده على قارتى اوروبا و أسيا تجعله ذا مجال جغرافى واسع وكثافة سكانية . ومن اهم عوامل هذا الاتساع وجود اعداد كبيرة من المسلمين فيه

فالاتحاد السوفياتى يعتبر خامس دولة .اسلامية فى العالم وقد تكون هذه ميزة يحاول الكرملين الان الافادة منها لجذب السياح الأوروبيين من حملة النقد النادر اليه لرؤية قباب/سمرقند المغطاة بالذهب او زيارة ضريح الفاتح تيمورلنك ، او التغلغل نحو ابعد جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية جنوبا مما بدأت تطرب له افئدة رجال الحكومة السوفياتية فرحا وحبورا .

ففى الاتحاد السوفياتى ٤٣ مليون مسلم يشكلون احدى انشط جماعاته العرقية ولهم تقاليدهم التاريخية الطويلة والزاهية وثقافة تركية غنية وشعور عميق بالسيادة يزهون به حتى على الروس انفسهم ، الذين يشكلون نواة الجمهوريات السوفياتية .

ان معظم هؤلاء المسلمين السوفيات يعيشون فى الجمهوريات الفدرالية الست التى تقع جنوب الاتحاد السوفياتى وهى كازاخستان وقيرغيزيا وطاجكستان واوزبكستان، وتركمانستان فى آسيا الوسطى وجنوب كازاكستان الشاسعة واذربيجان وشمال القفقاس . اما التاتار فهم مسلمون كانوا يعيشون فى شبه جزيرة القرم حتى قام ستالين بنقلهم منها خلال الحرب العالمية الثانية واسكنهم فى ضواحى مدينة قازان فى روسيا الوسطى حيث لايزالون الى الان يتعايشون هناك

وبالرغم من ان المسلمين السوفيات يتوزعون جغرافيا على عدة دول لكل منها لغتها المكتوبة الخاصة وحكومتها الوطنية الا ان وازعا واحدا يجمعهم يتلخص فى كون ٧٠٪ من ثقافتهم واحدة اما لغتهم فقريبة من بعضها بعضا ، ولهم ماض تاريخى مشترك مماساعد على قيام وشائج وحدة اسلامية وثيقة فيما بينهم وفيهم بعض الشيعة الاثنى عشريين والاسماعيليين الذين يقدر عددهم بسبعين الفا ويعيشون فى/بامير اما غالبية المسلمين السوفيات فمن السنيين.ان ازدياد عدد المسلمين السوفيات هو ظاهرة ملفتة للنظر حيث زاد عددهم فيما بين عام ١٩٧٠ و ١٩٧٩ بنسبة ٢٤٪ مقابل نسبة ٥ر٦٪ للشعب الروسي فقط مما اقلق موسكو . ان المسلمين السوفيات يشكلون حاليا ١٦٪ من عدد السكان فى الاتحاد السوفياتى . فاذا ثابروا على زيادة عددهم بالشكل الحالى فان عددهم بنهاية هذا القرن سوف يناهز ٦٥ الى ٧٥ مليونا اي نحو ربع سكان الاتحاد السوفياتى فى ذلك الوقت ويومها سينحدر عدد الروس الى اقل من نصف السكان فى البلاد ككل . الا ان ارتفاع العدد ليس بالمشكلة المهمة فمسلمو جنوب الاتحاد السوفياتى متمسكون بالاقامة فى مناطقهم فهم لايغادرون

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

جمهورياتهم فى وسط آسيا للهجرة الى سواها كما كان يفعل الروس فى الخمسينات عندما شجعهم/خروشوف على الهجرة وسكنى الجمهوريات الاسلامية الا ان هجرة الروس تقلصت الان وظلت جمهوريات اسيا الوسطى محتفظة بطابعها الاسلامى . بل ان ١٥٠ر٠٠٠ روسى ممن كانوا يسكنون القفقاس من مدة طويلة حزموا حقائبهم وغادروها الى غير رجعة وكذا يغادر الروس الان كازكستان . ان سكان حزام الاتحاد السوفياتى الجنوبى القائم على حدود تركيا وايران وافغانستان وسنكيانغ فى الصين غدوا كلهم من المسلمين الان .بل ان وجود الروس بنهاية هذا القرن سيتقلص الى قلة ضئيلة فى بعض مدن وسط آسيا فقط .

الكرملين قلق :

ان هذا سيطرح مشكلتين للسلطات السوفياتية . الأولى اقتصادية والثانية سياسية فبالنسبة للاولى نقول ان الاتحاد السوفياتى على كونه غنيا بالموارد الأولية والمصادر البشرية الا ان هذين العنصرين الهامين يشكوان من سوء التوزيع فالمواد الأولية لاتتواجد الا فى مناطق سايبريا النائية المتجمدة اما قلب البلاد الصناعى ففى روسيا الأوروبية فى الغرب الا ان مكان تواجد الايدي العاملة بكثرة فهو فى الجمهوريات الاسلامية .

وحيال ظاهرة تدنى المستوى التعليمى والمهارات التكنية للمسلمين السوفيات . بالنسبة لجيرانهم الروس وعدم استعداد هؤلاء المسلمين لمغادرة جمهورياتهم للعمل فى مدن روسيا المكتظة ترى السلطات السوفياتية نفسها ملزمة بنقل المصانع الجديدة الى الجمهوريات الاسلامية بكثرة وهذا يعنى انتقالا فى الموارد والخدمات لابد وان يترك استياء فى المناطق الأوروبية التى كانت مفضلة سابقا فى المستقبل .

www.ethraadl.com

واما المشكلة الثانية وهى سياسية فتكمن فى انه كان يظن سابقا بأن الشبيبة الاسلامية كلما تقدمت فى مضمار الثقافة كلما رغبت بالاندماج والتلاحم بالمجتمع السوفياتى الا ان الوقائع اثبتت عكس ذلك اذ رفض الشبان المسلمون ظواهر (الترويس) ونبذوها واثبتوا تمسكهم بشخصيتهم الاسلامية وارثهم التاريخى ورفضوا الاندماج بالمجتمع السوفياتى بالرغم من تعايشهم وتعاملهم مع الروس مهنيا وفى كل مجال .

ان هذه الشخصية المميزة للمسلمين السوفيات جعلت قادة الكرملين يقلقون . فالصفات الاسلامية تعتبر حافزا لعزلتهم عن المجتمع السوفياتى . كما ان احياء الشعور الدينى الاسلامى لديهم يزيد بعدا لهذا الواقع الذي غدا معضلة يواجهها الكرملين .

يحافظون على العقيدة :

لقد حافظ المسلمون السوفيات على عقيدتهم الاسلامية بالرغم من الضغوط العديدة التى تعرضوا لها . فظاهرة التفرنج الغربى وصلت اليهم كما وصلت لاخوانهم المسلمين خارج الاتحاد السوفياتى الا ان الضغوط الالحادية التى تعرضوا لها من النظام السوفياتى كانت اكبر . فمن المعلوم ان الاتحاد السوفياتى دولة الحادية تنكر الاديان وتعمل على هدمها وكانت اول محاولة من جانبها لاستئصال الاسلام من جمهوريات اسيا الوسطى قد جرت خلال العشرينات والثلاثينات عندما شردت ونفت النخبة الدينية وملايين البدو الرحل هادفة على ما قال كالينين وهو بلشفي قديم الى اعطاء المسلمين (الشخصية والسلوكية الخاصة باي عامل روسي عادي فى البلاد) الا ان ماتبع ذلك من ثورة اهلية استمرت ٥٠ عاما حال دون المضى فى هذا المشروع .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

لقد ظهرت لستقصاءات الرأيَ التى جرت مؤخرا فى الاتحاد السوفياتى ان ٨٠٪ من سكان جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية لايزالون متمسكين بايمانهم ومواظبين على اداء الشعائر الدينية التى يعتبرونها جزءا من واقعهم القومى ـ اما النسبة بين الروس الذين كانوا قبلا مسيحيين ارثوزكس فلاتتجاوز ٢٠٪ ـ

ويبلغ عدد المساجد فى جمهوريات اسيا الوسطى نحوا من خمسمائة مسجد اما رجال الدين فيناهزون الثلاثة الاف وفى البلاد اربعة مجالس اسلامية عليا لكبار المفتين فى كل من طاشقند وأوفا وماقاشقالا وباكو كما ان هناك مدرستين لتخريج رجال الدين واحدة فى بخاري والاخرى فى طاشقند ودارا لنشر الكتب الدينية تصدر نشراتها بعدة لغات بينها الانجليزية والفرنسية والعربية والفارسية والأزبكية الا ان نشاط رجال الدين التبشيري والاجتماعى تمنعه السلطات . اما خطبة يوم الجمعة فى المساجد فمسموحة وهى الصلة الوحيدة بين رجال الدين وعامة الشعب .

ان معظم الائمة العلماء المسلمين السوفيات هم من الشبان

الذين تخرجوا من مدارس الشريعة فى مصر والمغرب ويمثلون الاتجاه الاسلامى المعتدل والليبيرالي الذي عرف عن كبار اعلام المسلمين فى التاريخ الحديث اعتناقه والعمل له ومنهم المشايخ محمد عبده ورشيد رضا وشهاب الدين المرجانى . اما من الوجهة العملية والشعبية فالمسلمون السوفيات لايزالون يحفلون جذوة الجهاد التى نادى بها الشيخ شامل الذي قاوم التسلط القيصري على القفقاس فى مطلع هذا القرن . (ثورة البصمجى) والشيخ/ اوزون حاجى الذي قاد ثورة الداغستانيين ضد الحكم السوفياتى فى اوائل العشرينات وقبلهما جمال الدين الافغانى رائد حركة التحرر الاسلامى فى وجه الاستعمار الغربى .

اما قادة هذه الحركات التحررية التى لايزال لها جذور فى جمهوريات اسيا الوسطى فيطلق عليها اليوم اسم حركات الاخوة الصوفيين وهى حركات سرية تحرمها السلطات السوفياتية وقد شنت عليها عدة حملات لاستئصالها والقضاء عليها .

والان نصل الى سؤال وجيه هو : الى اي درجة يتعاطف مسلمو الاتحاد السوفياتى مع الشعور الاسلامى فى العالم ؟

انه لمن الواضح ان الماركسية السوفياتية منذ ايام ستالين فعلت فعلها فى قطع جذور الصلة بين المسلمين السوفيات وبين حركات التحرر الاسلامية فى العالم . وغالبا مايمهد الكرملين لمد نفوذه الى البلدان الاسلامية فى الشرق الأوسط واسيا عن طريق منح جمهوريات اسيا الوسطى بعض التنازلات والهبات كتخفيف حدة الدعاية ضد الدين الاسلامى والاذن بفتح مساجد جديدة والأخذ برأي رجال الدين الاسلامى فى الأمور العامة وزيادة الاستثمارات المالية فى ربوع اسيا الوسطى او تحقيق الاستقلالية السياسية فى تلك الجمهوريات وفصل تبعيتها للحكم المركزي فى العاصمة موسكو . ولقد فعلوا مثل هذا عشية غزوهم لافغانستان حتى ان الجيوش التى ارسلوها فى اوائل ايام هذا الغزو كان معظمها من جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية . الا ان احدا لايعلم ماهو الموقف الذي سيكون عليه ابناء اسيا الوسطى فى الغد اذا استمر تهديد خطر التوسع السوفياتى فى دول الشرق الأوسط الاسلامية كما يتم اليوم فى افغانستان ، فاذا امتدت نذر الثورة هدا من افغانستان الى ربوع اسياء

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية